حرية
عدالة
مواطنة

البديل

إسبوعية - سياسية - مستقلة

العدد (٩١) ٢ /٦/٢٠١٣ م | www.al-badeel.org | Issue (91) 2/6/2013

«جنيف٢» في غرفة الإنعاش الأميركية الروسية الأربعاء المقبل

النظام يوزع أقنعة كيماوية على جنوده في ريف دمشق

■ حلب- البديل

فتح الجيش السوري الحر جبهة في الرستن بريف حمص استولى خلالها خمسة حواجز كبيرة للنظام في معركة طاحنة لتشتيت قوى النظام التي تتوجه إلى مدينة القصير، في وقت أخفقت القوات الموالية للنظام وميليشيات حزب الله باقتحام المدينة. وبينما استمر الوضع الإنساني والطبي الحرج في القصير حيث يرقد ألف جريح منذ أيام، بدأت إدارة الحرب الكيمياوية التابعة للجيش النظامي بتوزيع أقنعة واقية من الغازات السامة في ريف دمشق.

وسيطر الجيش الحر على نقاط تمركز لقوات النظام في الرستن بريف حمص، مع بدء « معركة نصرة القصير».

وقال الناطق باسم جبهة حمص التابعة لهيئة الأركان بالرستن صهيب العلي إن الثوار استطاعوا تحرير خمسة حواجز تقع شمالي مدينة الرستن في عملية استمرت خمسة أيام، وقال إن هذه الحواجز بالغة الأهمية لأنها كانت مصدرا للقصف والقنص.

من جهتها، قالت جبهة التوحيد في ريف حمص الشمالي إنها بدأت معركة باتجاه الحواجز الشمالية لمدينة الرستن وكتيبة الهندسة، وقالت إن هناك عشرة حواجز ضخمة، سقط منها خمسة وأصيب الباقي، في عملية قالت إنها تهدف إلى لفت أنظار النظام، وتشتيت قواه عن المحاصرين في مدينة القصير.

وفي القصير، قال ناشط إن الحصار مستمر رغم وصول بعض الإمدادات، وأضاف أن الحالة الإنسانية صعبة، خاصة بالنسبة للجرحى الذين لا يمكن نقلهم، ولا توجد علاجات لمساعدتهم. وفي ريف دمشق، قال المركز الإعلامي السوري إن إدارة الحرب الكيمياوية التابعة للجيش السوري تقوم بتوزيع أقنعة واقية من الغازات السامة على الجنود في الغوطة الشرقية وحرستا ودوما وعين ترما. وفي ريف دمشق أيضا، قالت شبكة «شام» إن الطيران الحربي قصف مدينة عربين. وذكر ناشطون أن الجيش الحر سيطر على مبان كانت تتمركز بها قوات النظام على أطراف المدينة نفسها.

على صعيد آخر، أفاد نشطاء في حلب بان الهيئة الشرعية أعدمت قائد لواء جيش محمد، وأحد مساعديه، بتهمة تورطهما في جرائم قتل وسرقة وفرض أتاوات على المواطنين، وقتل قائد كتيبة معارضة في حي المشهد بمدينة حلب قبل أشهر.

سياسياً، يُدخل الروس والأميركيون المؤتمر الدولي حول سوريا «جنيف٢» غرفة الإنعاش الأربعاء المقبل لإنقاذ ترتيبات انعقاده من فشل يلوح في الأفق إثر تشدد موسكو في رفض رؤية المعارضة السورية عن الحل وخاصة فيما يتعلق بمصير الرئيس بشار الأسد، إضافة إلى تعقيدات فرضها غزو حزب الله وإيران لسوريا.

واتهمت روسيا الائتلاف الوطني بنسف «جنيف٢» من خلال فرض شروط «تعجيزية» وأنه يسعى إلى «تدخل عسكري». وتشعر فرنسا بالقلق من «تساهل» وزير الخارجية الأميركي جون كيري مع المطالب الروسية، مؤكدة على لسان مصدر مسؤول إنه «ليس الأميركيون والروس وحدهم من يقررون».

■ رأي البديل- معركة التفاوض

معركة التفاوض مع النظام لا تقل شراسة عن أي معركة على الأرض. وطالما أن قوى الثورة قد قبلت بالتفاوض فعليها أن تعد العدّة لمعركته، وأول ما يمكن فعله هو إنهاء المعارك الجانبية بين قوى الثورة، خدمة للثورة.

لا أحد من السوريين لديه وهم بأن المفاوضات يمكن أن تفضي من جولتها الأولى إلى نتائج مهمة، لكن، وبما أن السوريين سيحتكمون للتفاوض فعليهم الإقرار بأن التفاوض هو اعتراف ضمني بأن المعركة على الأرض لا يمكن لها أن تكون معركة صفرية.

ما هي الثوابت التي سيحددها وفد قوى الثورة لنفسه خلال التفاوض؟.

إن تحديد ثوابت رئيسية أمر مهم، لكن لا يمكن تحديد هذه الثوابت من دون أن يكون هناك رؤية واضحة للأهداف النهائية لعملية التفاوض، وفي مقدمتها الأهداف الوطنية، أي تلك الأهداف التي لا تخص فقط القوى المؤيدة للثورة، بل الأهداف التي تخص مستقبل سوريا، ومستقبل كل مكوناتها الاجتماعية والقومية والدينية.

الأمر الملح في التفاوض هو تحديد مرجعية الاعتراف بالنتائج، أي تحديد مرجعية الجهة الداعية للتفاوض، هل هي الأمم المتحدة، أم الدول الراعية للتفاوض؟، وهو ما يعني تحديد مرجعية الضمانات، وتأمين عملية الالتزام بها.

قبل كل ذلك، فإن الفريق المفاوض يجب أن يفاوض كفريق، وليس كممثلين عن أطراف سياسية متباينة الرؤى، فأي تباين في المواقف سيمنح النظام نقاط قوة على حساب الثورة.

إذاً، إن الفريق الذي سيمثل الثورة مطالب بعقد جلسات فيما بينه قبل التفاوض من أجل بناء التفاهمات الضرورية لعمله، وبناء تقنياته التفاوضية، خاصة أنه سيكون أمام وفد آخر هو بالتعريف متجانس ومتماسك وله ثوابت محددة، كونه يمثل طرفاً له هوية واضحة، وله مرجعية واحدة.

لكن هل يمكن فعل ذلك كله قبل إيجاد الأرضية المشتركة بين الأطراف الممثلة للثورة والمعارضة؟

الأجواء اليوم بين قوى الثورة والمعارضة ليست على ما يرام، لقد تابع السوريون معارك الائتلاف الأخيرة، ونحن نتابع الهجوم والهجوم المضاد من قبل القوى الثورية على بعضها البعض، كما نتابع انخفاض رصيد ومصداقية القوى والشخصيات التي تمثل الثورة، وتزايد الاتهامات لها من قبل السوريين.

معركة التفاوض بدأت، ويكفي وجود طرف راغب بإفشالها حتى تفشل، أكان ذلك الطرف إقليمياً أو دولياً، لكن إنجاحها يحتاج إلى جهود كبيرة، وهي جهود ومساعٍ يجب أن تبدأ اليوم وليس غداً.

طالبوا المعارضة أن تلتزم بإسقاط الأسد في جنيف ٢

ثوار وناشطون: الحلول التي لا ترضي الداخل لن تجد طريقها للتطبيق

■ محمد إقبال بلو:

إياد دادا

د.أيمن هاروش

صهيب الخلف

علي بلو

يبدو مؤتمر جنيف ٢ غير واضح المعالم بالنسبة للكثيرين، والمشككون بنتائجه أكثر من المتفائلين به، خاصة أن الوقائع على الأرض لا تفيد بأية مقدمات إيجابية، بل على العكس من ذلك، فقد أعطى دخول حزب الله بشكل مباشر على خط القتال في سوريا إشارات سلبية، كما أتت الخلافات التي شهدها مؤتمر اسطنبول لتوسعة الائتلاف لتؤكد مدى التصدع داخل بنى المعارضة السورية.

المواقف المتباينة من مؤتمر جنيف ٢ لها العديد من الأسباب، وهي أسباب مبنية على تجربة السوريين خلال الثورة، وخاصة تجربتهم مع المجتمع الدولي، ومع النظام الذي لا يستجيب لأية مبادرة سياسية، ويحاول دائماً كسب الوقت لتغيير الوقائع على الأرض.

أجرت "البديل عدة حوارات مع ناشطين وسياسيين وثوار حول آرائهم بهذا المؤتمر الذي أصبح الشغل الشاغل لكافة أطياف المعارضة السورية وللمجتمع الدولي بأسره وكانت لنا اللقاءات التالية:

ماجد حمدون رئيس الكتلة الوطنية الجامعة في سورية قال: حتى اللحظة لم تعلن الكتلة موقفاً أو بياناً يتعلق بمؤتمر جنيف٢ ، فالمؤتمر ما يزال غامضاً في كافة جوانبه ، لم تتحدد بعد الشخصيات أو القوى المعرضة التي ستشارك في المؤتمر، كما لم تتحدد الدول، وبالتحديد إيران هل ستكون موجودة في هذا المؤتمر أم لا؟ ، بالإضافة إلى أن المعارضة لم تضع برنامجاً واضحاً يخص المؤتمر، وحتى أن موعده لم يحدد بعد ، نحن نرى أن العمل الثوري في الداخل مازال مستمراً لأجل الوصول إلى إسقاط النظام بكافة أركانه ومرتكزاته، ونحن نساند هذا العمل الثوري ونقف أولاً معه ، ولا نرى مانعاً من المساعي للوصول إلى حل سياسي مشرف تتحقق به مطالب الشعب السوري، وننتظر أن تتوضح الأمور حول المؤتمر ليكون لنا موقفاً واضحاً وبياناً معلناً.

أما الدكتور أيمن هاروش وهو المعارض الإسلامي البارز فقال: مؤتمر جنيف٢ فصل جديد من فصول مسرحية التآمر العالمي على الثورة السورية، وجرعة جديدة من جرعات الإنعاش للنظام السوري الميت سريرياً، لأن كل القوى الراعية له ليست صادقة في إيجاد الخلاص للشعب السوري، بل هي تخدم مصالحها، فروسيا مصلحتها مع وجود النظام، ولذلك تراها تفاوض عنه، بل تتكلم أحيانا كما لو كانت الاعتصامات والمظاهرات في الساحة الحمراء، وأمريكا لم تجد البديل الحامي لإسرائيل لذلك تتباطأ في حسم الموقف وحفاظا على ماء وجهها أمام شعوبها وما بقي من مبادئ تنادي بها تتظاهر بصداقة الشعب السوري، لكن الكل متفق على إجهاض الثورة وبقاء الأسد، أما المعارضة الهزيلة التي صارت تغرد في جهة معاكسة لجهة الثورة فقبل الحديث عما

مؤيد حجازي

ماجد حمدون

نهاد ويشو

ياسين الصعب

يجب أن تأخذه معها لا بد من السؤال من تمثل هذه المعارضة على الأرض؟ ومن فوضها لتتكلم باسم الثورة وقد خانت مبادئها؟ لا سيما في الآونة الأخيرة حيث بدأنا نرى شبيحة ينضمون لصفوف الائتلاف والمعارضة، والمضحك أن وفدا من الداخل سيحضر في صفوف المعارضة، وطبعا الداخل هنا يقصد به داخل فلك النظام، فهل بقي بعد هذه المهزلة من مهزلة؟

وتابع د. الهاروش: لا يمكن لجنيف ٢ ولا غيره أن يكون مرضياً للشعب السوري، وحافظاً لدماء الشهداء إلا إذا توصل إلى نتائج حاسمة وعلى رأسها إقصاء نظام الأسد من القمة للقاعدة عن الحكم، وتقديمهم للمحاكمة والمحاسبة وعلى رأسهم بشار الأسد، والمسارعة في تشكيل حكومة وحدة وطنية يكون للداخل الثائر القدر الأكبر منها ووضع برنامج إعادة إعمار سوريا في فترة زمنية لا تتجاوز السنتين.

وكل كلام غير هذا فلن يجد قبولا بالداخل، وإذا لم يرضَ الداخل لن تحل الأزمة حتى لو رضيت المعارضة كلها لأنها لا تملك رأيا تلزم به الداخل.

ولأن جنيف ١ وجنيف٢ ولا جنيف١٠ سيحقق شيئا من هذا فلست متفائلاً به، ولا أرعيه اهتمامي حتى لا أملك الرغبة لأتابع أحداثه في نشرات الأخبار، فأي نتائج تتمخض عن مؤتمر قبل الدخول فيه استثنى وزارات الأمن والجيش من الحديث، واستبعد قضية تنحي الأسد فهل مشكلتنا في سوريا مع وزارة الكهرباء والصحة؟ الحل اليوم يصنعه المجاهدون على الأرض والنصر لهم بإذن الله.

فيما يجد المعارض السوري حمدو الشريقي أن مثل تلك المؤتمرات تكون القرارات فيها مسبقة الصياغة والصنع ، ويقول: أعتقد أن المعارضة إلى الآن لم تتوحد حول ما تريد من هذا المؤتمر؟ والمعارضة لن تتوحد ، وسيكون هناك إملاءات مفروضة على الجميع ، وسينتج عن هذا المؤتمر اتفاق ما على الأغلب، والسيناريو الذي أتوقع حدوثه يشبه السيناريو المصري إلى حد كبير، حيث سيرحل الرئيس ولن يسقط النظام أو تتغير حال البلاد، وأتوقع أن يرأس مناف طلاس مجلسا عسكريا لمرحلة انتقالية، وأنا على الصعيد الشخصي موافق على ذلك، ليس لأن ذلك يحقق مطالب الثورة بل لأنه قد يسهم في إيقاف شلال الدم السوري.

الشاعر مؤيد حجازي عضو اتحاد الكتاب السوريين الأحرار قال: يسعى الغرب وأمريكا وروسيا منذ البداية إلى بناء كيان سياسي وعسكري يتماهى مع أهوائهم ورغباتهم وأهدافهم في المنطقة، وقد اجتازوا مراحل على الصعيد العسكري، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى القوة البشرية الكافية التي يمكن فيما بعد تسليحها (كجهات آمنة كما يسمونها)، أما على الصعيد السياسي فلديهم من السياسيين الكثير ممن يسمعون ويطيعون ولكنهم لا يستطيعون النجاح دون نجاح الجانب العسكري على الأرض. إذا نجح هذا المخطط – لا قدر الله – كما يخططون فيسكون كل الثوار الحقيقيون في نظرهم هم جهات إرهابية يجب الخلاص منها بإجماع دولي. وهذه المؤامرات لم يعقدها الغرب إلا لتحقيق ما سبق من أهداف.

وعلى المعارضة السياسية أن تعمل على إفشال هذا المخطط وذلك بتعرية تلك الأهداف والمخططات إعلامياً وسياسياً وتبني موقف الشعب فهو في النهاية من يملك حق تقرير المصير، وإلا فإن هذه المعارضة ستستمر في خسارة ثقة الشعب فيها. لن يفيد هذه الثورة بعد الله إلا الوقوف إلا جانب الشعب، ولنكن جميعاً على يقين أن حكومات العالم بأسرها لو علمت يقيناً أن هذه المؤتمرات ستنفع شعبنا بتحقيق أهدافه ولو بالقليل لما أقامت أي مؤتمر. وصدق شعار الشعب مالنا غيرك يا الله.

وفي لقائنا مع الفنان التشكيلي والمعارض نهاد ويشو قال: أستطيع أن أقول أنني لا أؤمن بأية مؤتمرات تسعى لإيجاد حل سياسي مع النظام الأسدي لأنه لا حل سياسي معه، و كل شيء يثبت ذلك . ما هي إلا مماطلات و تمييع للأمور كي يستفحل الأمر، و يتفشى طاعون التطرف السلفي – الديني – الذي يريده الغرب الذي زرعه و يتذرع به من أجل عدم التدخل أو الضغط كما يجب على النظام للتنحي.

برأيي المتواضع يجب أن لا تهادن المعارضة على أي بقاء للسلطة مهما كان، و بأية طريقة، فقد بتنا نعرف النظام و نعرف ماهيته ولهذا يجب أن تضغط المعارضة على المجتمع الدولي بشأن حزب الله و تدخله هو و إيران أيضا. توقعاتي للنتائج غير سارة، فلا أظن أن المؤتمر سيخرج بنتيجة جادة و إيجابية من ناحية الثورة، ولا أرى حلاً آخر غير تسليح الجيش الحر "الرسمي" ، إن كان بإمكاني قول ذلك و أنت تفهم تماما ما أعنيه – بما أن فكرة تدخل خارجي مبتعدة ولا يحبذها الكثير، و لا نثق بها.

الناشط والإعلامي ياسين الصعب والملقب بأبي رائد الحلبي حدث البديل قائلاً: مؤتمر جنيف اليوم هو خطة لإنقاذ الاسد، أما المعارضة السورية فبرأينا إنها قامت بموقف جيد عندما قاطعت المؤتمر بسبب هجمات حزب الله.

وورقة العمل التي يجب أن تقدمها المعارضة هي رحيل الأسد قولاً واحداً، وهذا أهم شرط من شروط أي تفاوض، وأنا أتوقع أنه سيفشل وسيكون الحاضرين به كالتماثيل إذا لم يشارك به الثوار مع المعارضة، وكما قلت فهذا المؤتمر لإنقاذ الأسد، حتى النظام يحاول تعزيز قوته العسكرية في حلب وكل المناطق الحساسة في سورية من أجل هذا المؤتمر، ومن أجل أن يصل إلى فكرة معروفة وهي "الضعيف يوقع للقوي على ما يريد"، فليستمر الجيش الحر و لتسقط حكومات العالم المتخاذلة.

أما الإعلامي والناشط صهيب الخلف فقال: في الأيام الماضية شاع نفس التخوين والاتهام بالعمالة لأول مرة على هذا المستوى في فكر الثائرين والمعارضين والموظفين لديهم ، ربما لن ينعكس ذلك الأمر على ثورتنا خيراً أبدا ، وربما من الأفضل لنا البحث عن سبيل للضغط على مؤسسة الائتلاف إن صح التعبير والتي تحوي أشخاصاً لم أر لهم أي نصير في الشارع الثائر ولا هم محط ثقة من أمثال مصطفى الصباغ ، إلا أنني لا اعتقد أن الائتلاف سيغامر بكيانه إلى هذا الحد الذي يوافق فيه على وضع يده في يد القتلة.

إن أزمة سوريا لن يحلها إلا إعمال القوة ضد كل من أجرم ومن أدمن على سفك الدم وهدم البيوت وانتهاك الحرمات ولا سبيل إلى ردعه إلا أن يموت ، وعلينا أن نجيد لعبة السياسة جيداً بحيث نثبت لما تبقى في العالم من ضمير، ذلك نحن لا يجب علينا أن نقاطع المؤتمر، ولكن علينا ألا ننبطح لإرادة النظام وحزب الله.

الناشط الإغاثي إياد دادا : هذا المؤتمر لا يمثل أي مواطن سوري، وما عرض به من خطط لا تمثل إلا من عرضها، هذا المؤتمر ليس لوقف هدر الدم السوري وإنما العكس، ومن يعرض المفاوضة مع النظام هو من أتباع النظام ، ترى هل ستكون محاكمة الأسد على الجرائم التي ارتكبها وتدمير البلاد واستعمال السلاح الكيميائي من ضمن ورقة المعارضة التي ستقدمها؟ وهل ممكن أن يقبل النظام بهذا؟. الشعب السوري بكل أطيافه يتفق بأن أي جهة كانت عرضت المفاوضة مع القتلة لا تمثله، كفانا قتلاً وتدميراً، كفانا ذلاً وإهانة وسكوتاً، كفانا سرقة حتى صوتنا سرقوه ، ماذا قدمت المعارضة في الخارج ومؤتمراتها لمن يقتل ويدمر في الداخل؟ وهذا المؤتمر للتفاوض مع نظام ليس هناك أية حكومة في العالم تعترف بشرعيته إلا مناصريه، فكيف يتم التفاوض مع نظام فاقد للشرعية؟

علي بلو قائد لواء أحرار سورية الذي يعمل في ريف حلب الشمالي وفي حلب المدينة قال: نحن كعسكريين ومقاتلين على الأرض لا ننتظر أي إنجاز من المعارضة السياسية ولو كنا سننتظر ذلك لفشلنا منذ الشهور الأولى ، فأداء المعارضة لا يتناسب إطلاقاً مع التضحيات التي يقدمها الشعب السوري، وهذا لا يعني أبداً أننا نقف ضد المعارضة أو ضد الائتلاف بل نؤكد أننا لا نبني على جهودهم أي أمل ، ونشجعهم على المضي فيما يرضي الله والشعب السوري البطل ، بالنسبة لمؤتمر جنيف أعتقد أنه سيكون كغيره من المؤتمرات دون نتائج هامة.

في حال قدمت المعارضة تنازلات الكبيرة قد تصل إلى حل مع النظام، لكن هذا الحل لن يرضي ثوار الداخل، ولن يطبقوا أي جزء منه بالتالي ، برأيي يجب أن تركز المعارضة على نقطتين هامتين ليس في المؤتمر بل قبل الموافقة على الدخول فيه وهما : إيقاف القصف على كافة المناطق السورية وخروج كل القوات الإيرانية والقوات التابعة لحزب الله من سورية، وبعدها تبدأ تفاوضاً حقيقياً على مرحلة انتقالية من دون الأسد، ومن دون رؤوس النظام الامنيين والعسكريين.

التداعيات العسكرية لإعلان حزب الله الحرب في سوريا

جيفري وايت- معهد واشنطن

في ٢٥ أيار، قام الأمين العام لـ «حزب الله» حسن نصر الله بما يرقى إلى إعلان الحرب ضد الثورة السورية. وتعهد بقيام جماعته بدحر التمرد والإبقاء على نظام بشار الأسد، معلناً أن «سوريا هي ظهر المقاومة وسندها، والمقاومة لا تستطيع ان تقف مكتوفة الأيدي وتسمح للتكفيريين بكسر عمودها الفقري». ولا يمكن لأحد أن يتهمه بعدم الوضوح، فلم يكن خطابه ملفوفاً بالغموض بأي حال. وعلى افتراض أنه سيمضي في تنفيذ تعهده لحماية نظام الأسد، فإن كلاً من الخطاب وتحركات «حزب الله» الكائنة بالفعل على الأرض في سوريا يمكنها أن تؤثر في تعميق المسيرة العسكرية للحرب.

التدخل المباشر وغير المباشر

يمثل تورط «حزب الله» في القتال الدائر حالياً حول القُصير في محافظة حمص أكثر التحركات بروزاً في سوريا حتى الآن، لكنه لا يعدو أن يكون سوى مجرد جانب واحد من الصورة. فلقد انخرطت الجماعة في التدخل العسكري المباشر في دمشق لبعض الوقت، بزعم الدفاع عن أحد مزارات الشيعة الرئيسية وهو مقام السيدة زينب بالتعاون مع الميليشيات الشيعية المحلية من لواء أبو الفضل العباس. ووفقاً لمصادر من بين الثوار، فإن أعضاء «حزب الله» اشتركوا في هجمات النظام في محافظة درعا وفي الغوطة الشرقية في ريف دمشق – وهي مناطق تظهر فيها الحكومة قدرات هجومية مجددة. وقد لعب «حزب الله» دوراً رئيسياً أيضاً في تطوير النظام لقوات غير نظامية مؤثرة. ووفقاً للتقارير، فقد وفرت الجماعة التدريب والنصائح لجماعات الميليشيات المحلية وعناصر اللجنة الشعبية و"جيش الدفاع الوطني"، وجميعها تلعب دوراً متزايداً في الدفاع عن النظام.

مما لا شك فيه أن قوات «حزب الله»، حتى وحدات النخبة، ليسوا أفراداً خارقين ، فحتى مع تلقيهم الدعم من جانب سلاح الجو وقوات المدرعات والمدفعية والصواريخ التابعة للنظام، كان أداؤهم ضد الثوار السوريين دون حد الإذهال. كما أن عناصر «حزب الله» الذين يقاتلون حول القصير يدفعون ثمناً باهظاً، ويحققون تقدماً بطيئاً على الأرض، لكنهم يفشلون في فرض سطوتهم على قوات الثوار. إذ لا تزال معركة السيطرة على مدينة القصير دائرة منذ عشرة أيام، فيما تستمر عمليات الجماعة في المنطقة المحيطة منذ سبعة أسابيع على الأقل. إنها ليست حرب خاطفة إذاً، كما أنها تكلّف «حزب الله» خسائر كثيرة، تشمل قادة ومقاتلين من أفضل الوحدات لديه. ومع ذلك، فقد غيّرت جهود الجماعة من توازن القوى المحلية في المنطقة.

التداعيات على سوريا

ربما كان الالتزام التام من جانب «حزب الله» هو التطور الوحيد الأبرز في الحرب حتى الآن، وسيكون له تأثير عميق على مسارها. فالتدخل العسكري الجوهري من جانب «حزب الله» يعطي النظام قدرات جديدة، كما يعيد قدرته على تنفيذ

عمليات هجومية خطيرة. وفي القُصير، على سبيل المثال، بإمكان النظام الاستعانة بمقاتلي الجماعة كقوة مشاة محل ثقة بجانب أسلحته الثقيلة وقواته الجوية. فقوات «حزب الله» تتمتع بالتدريب والخبرة لتنفيذ الهجمات بمهارة وتصميم، وقد أبدى أفرادها، حتى الآن على الأقل، استعدادهم لقبول الخسائر الضرورية في سبيل تحقيق أهدافهم، وهو أمر غائب بدرجة معينة بين صفوف قوات النظام. كذلك.

وعلاوة على ذلك، فإن التدخل من جانب «حزب الله» يقلص من العبء الملقى على عاتق قوات النظام التي أصابها التعب جرّاء الحرب الدائرة على مدار أكثر من عامين. ومع مرور الوقت، يمكن لهذا الأمر أن يتيح للأسد متنفساً كي يعيد نشر بعض من قواته لتنفيذ عمليات في مكان آخر في سوريا، بما في ذلك جهود إعادة الاستيلاء على مناطق معينة في قبضة الثوار.

التداعيات على لبنان

لقد أظهر نصر الله مرة أخرى أنه خلال الأوقات العصيبة، سيضع «حزب الله» مصالحه الخاصة فوق مصلحة لبنان. إذ أن تعهده الأخير قد وضع استقرار البلاد ومصير منظمته على المحك. بيد أن الحرب السورية كانت تتسرب فعلاً إلى داخل لبنان حتى قبل خطابه، ويعود ذلك بشكل كبير إلى المشاركة المتزايدة من جانب «حزب الله» عبر الحدود. وهذا ما أدى بالثوار إلى تنفيذ هجمات بالمدفعية داخل لبنان، فضلاً عن حشد المقاتلين اللبنانيين السنة للقتال في مدينة القصير، واشتباكات بين السنة والشيعة داخل لبنان. إن مشاكل كهذه من المرجح أن تزداد سوءاً في أعقاب بيان نصر الله.

وتكشف حملة «حزب الله» في سوريا أيضاً عن بعض الأوهام المتواجدة منذ فترة طويلة بشأن الجماعة في لبنان والخارج. أولها، أن صورة الجماعة كزعيمة "المقاومة" ضد إسرائيل قد اهتزت. فعلى الرغم من أن نصر الله حاول أن يصبغ قراره بصبغة النضال الأوسع ضد إسرائيل والولايات المتحدة، ظهر الأثر الواضح لتحركات «حزب الله» في قتل السنة الذي يقاومون حكومة بلادهم. وثانيها، أن "القوات المسلحة اللبنانية" بدت كحامية لظهير «حزب الله»، حيث من المتوقع أن يبقي افرادها الطرق مفتوحة أثناء نقل الجماعة للمقاتلين إلى داخل سوريا في أي وقت شاؤوا. وثالثها، أن القتال حول مدينة القصير تضر بأسطورة «حزب الله» القائلة بأنه لا يُقهر، والتي لطالما حافظ عليها الحزب بحرص بالغ. وفي حين تتحدث وسائل إعلامه عن الانتصارات في سوريا، إلا أنه من الصعب تجاهل النعوش العديدة للأفراد التابعين لـ «حزب الله» ممن يتم إعادتهم مجدداً إلى وطنهم. وسوف يستمر أصدقاء الجماعة وخصومها في مراقبة أدائها في سوريا وثمن دورها هناك.

التوازن بدعم الثوار

إن تعهد «حزب الله» على وجه الخصوص سوف يغير من المعادلة في ساحات المعارك التي تشارك فيها الجماعة أينما كانت، حيث تمنح النظام قدرات هجومية ودفاعية متجددة وموارد أكبر. كما أن هذا التعهد سوف يرفع أيضاً من المعنويات بين قوات ومؤيدي النظام، بما يشجع الأسد على البقاء في مساره. ونتيجة لذلك، سوف يكون النظام أقل ميلاً إلى التفاوض بشأن انتقال حقيقي للسلطة، الأمر الذي يقلّص من آمال أولئك الذي يضغطون من أجل التوصل إلى حل دبلوماسي. ويتناقض التحرك الجريء من جانب «حزب الله» بشكل تام مع الاستجابة الواهنة من جانب المساندين للمعارضة السورية. وبدون ترقية قدرات الثوار بشكل جوهري، إما من مواردهم الخاصة، أو المساعدة الخارجية، أو كلاهما معاً-- قد يكون إعلان نصر الله حاسماً في نتيجة هذه الحرب.

القصـــــيـــــــر: حدود الدم

غازي دحمان

لا شيء على جبهة الليطاني، الأمور هادئة هناك، وأمر عمليات الواجب الجهادي المقدس ينتقل إلى العاصي شرقاً، التقديرات تشير إلى ان حزب الله نقل إلى داخل سورية ألاف المقاتلين، وهم ينتشرون على كافة الأراضي السورية، أما لجهة النوع فهم من مقاتلي ما يسمى بالنخبة.

بالمنطق العسكري، هذا يعني إفراغ جبهات وخطوط قتالية بكاملها، الجبهة اللبنانية مع إسرائيل طويلة، كما يعني إجراء مناقلات لمجاميع عسكرية بعدتها وعتادها، فيما المنطقة ترزح تحت مراقبة كاميرات الأقمار الصناعية الإسرائيلية، والمنطق يقول إن إجراء هذه العملية اللوجستية الضخمة لا بد انه يستدعي حصول تفاهمات إقليمية معينة كضمانة لسلامة سير العملية، إذ لا يمكن لجهة عسكرية يفترض أنها في حالة حرب القيام بهذا التحرك الواسع والمكشوف بدون أخذ ضمانات معينة بعدم استهداف هذه العملية.

تلك حسابات عسكرية روتينية وبديهية يجريها أي طرف، والأمر الذي يؤكد ضرورة مثل هكذا إجراءات، ما يتصل بطبيعة العملية ذاتها، بوصفها عملية لوجستية ذات طابع استمراري وطويل نسبياً، وليست غارة أو عملية محدودة خلف خطوط العدو تنفذها مجموعة صغيرة، ذلك أن القوات التي يجري نقلها تحتاج إلى خطوط إمداد مفتوحة بالاتجاهين كي تضمن تزويد الوحدات المقاتلة بالذخائر والأسلحة والمؤن وعمليات نقل الجرحى وسواها من المستلزمات الضرورية لسير المعارك وإنجاز الأهداف العسكرية المتوخاة.

الغريب أن تأتي هذه العملية العسكرية في أعقاب الغارة التي شنتها الطائرات الإسرائيلية على مواقع سورية بذريعة الاشتباه بنقل أنواع من الأسلحة إلى " حزب الله"، مما يعني أن العين الإسرائيلية ساهرة على مراقبة الدواخل اللبنانية والسورية، وتحديداً منها المواقع العسكرية، والغريب أيضاً أن تتزامن العملية مع ارتفاع وتيرة التهديدات الإسرائيلية وزيادة مستوى الاستنفار في الجانب الإسرائيلي!.

غير انه في وسط هذا المناخ المتوتر كانت القيادة السياسية الإسرائيلية قد بعثت برسالة واضحة تلقاها الأسد عبر طرف ثالث مفادها أن إسرائيل ليست معنية بالحرب الداخلية السورية، وأعقبتها تصريحات واضحة لمسؤولين إسرائيليين يؤكدون فيها تفضيلهم لنظام الأسد على أي نظام أخر قد تأتي به سورية، مما يعني أنهم لم يقصدوا عبر إغارتهم على مواقع سورية تغيير قواعد اللعبة مع نظام الأسد وقواعد الإشتباك مع " حزب الله" بقدر ما كان هدفهم إعادة تصحيح هذه القواعد ومنعها من الانحراف.

إجراء هذه العملية اللوجستية الضخمة يستدعي حصول تفاهمات إقليمية معينة كضمانة لسلامة سير العملية

فهل كانت هاتان الرسالتان هما الضمان لتحرك حزب الله، بهذه الأريحية العسكرية، في الداخل السوري؟. ليس خافياً على الحزب، الذي يدعي أنه على معرفة تامة بما يدور داخل أروقة صناعة القرار الإسرائيلي ، من خلال رصده وقراءته النبيهة لاتجاهات السياسة والحرب في تل أبيب، بأن إسرائيل يغبطها تورط الحزب وإيران في سورية، بل وتساعد، حسب ما تسمح به الظروف، بتسهيل وتسريع إنجاز هذا التورط، وذلك تحقيقاً لاستراتيجية إسرائيلية تقضي باستنزاف إيران و" حزب الله" في الساحة السورية، بعد أن أفرغت هذه الساحة من كل جدوى استراتيجية وباتت مجرد مقبرة للقوة.

كيف لم يدرك" حزب الله" الرؤيوي والقارئ الإستراتيجي النبيه، على ما يدعي قادته، بأن من المستحيل إعادة بعث الروح بجسد النظام السوري الذي وصل إلى حد الإنهاك، ومن المستحيل إعادة تثبيت حكمه في سورية، وأن المعركة جاءت متأخرة كثيراً وباتت بلا جدوى استراتيجية حقيقية، فقط مجرد مجهودات ضائعة على هامش أزمة أصبحت ذات بعد معولم، وإذا كانت القصير وحدها تستنزف كل تلك الإمكانات من رصيد قوة الحزب فكم ستكلف استعادة سورية كلها؟.

لن تنفع " حزب الله" ونظام الأسد معركة القصير، خسارتها أو ربحها بالنسبة لسياق الحدث السوري لن يجد صداه إلا في البعد المعنوي، باستثناء ذلك، المدينة ذات طبيعة إستراتيجية فقيرة على عكس ما تروج له الدعايات الخفيفة، فالحدود بين سورية ولبنان مليئة بالمنافذ والجيوب، ومثل القصير،

إن المعـــركة جـــاءت متأخرة كثيـــراً وباتـــت بلا جـــدوى استراتيـــجية حقـــيقـــية

تمتلك أهمية استراتيجية نسبية، كما أن حدود الدولة العلوية، بحسابات النظام، تتضمن عشرات المناطق مثل القصير وهي بالمعنى الجغرافي حدود متداعية لكثرة الانكشاف والتداخل الذي يتخللها، ما يجعل حماية كل قطعة فيها يحتاج لجهود أكبر من قدرة الحزب على حمايتها والاحتفاظ بها، وخاصة وأن حرب القصير تكشف بما لا يدع مجالاً للشك عن مدى الوهن والعطل الذي وصل له جيش النظام.

لا شيء على جبهة الليطاني، إلى القصير أرض الأعداء... غير أن ثمة مفارقة عجيبة يمكن تسجيلها على هامش المأساة التي يسطرها نظام الأسد وحلفاؤه على جسد سورية، أن بعضاً من الجنود الميامين المنضوين تحت لواء قوات " حزب الله"، والذين يشدون أحزمتهم للدخول إلى مدينة القصير، جنوبي حمص، وينوون التنكيل بأهلها وذبحهم على الطريقة الشرعية" إن منحتهم قوتهم القدرة على ذلك"، هم أنفسهم كانت المدينة قد استقبلتهم وفتحت أذرعها لاحتضانهم، ربة البيت التي ينوون قتلها هي التي وضعت لهم الطعام وغطتهم في الليل، والأولاد الذين يزمجرون للوصول إلى جز أعناقهم كانوا قد أعطوهم ألعابهم، والكهل الذي يتحمسون للدوس على لحيته، لم تنشف بعد لحيته من الدموع التي ذرفها تأثراً بمأساتهم!. ولعلّ المأساة الأكبر أن هؤلاء يعرفون البيوت وحجرها وممراتها وغرف نومها ومطابخها وحماماتها... وكذا أسرارها التي عايشوها!.

السمكة السورية في بحر الحيتان

حسام ميرو

السمكة السورية هي مستقبل هذا البلد، وآفاق الخروج من الوضع الراهن إلى وضع جديد، وفتح الباب أمام السوريين للولوج إلى عصر الديمقراطية، وإنهاء مرحلة تاريخية بكل شعاراتها، وبكل شرعيتها المشتقة من «الخارج»، وتأسيس شرعية جديدة للحكم في سوريا، وقبل ذلك تأسيس مفهوم جديد للوطن السوري، والانتقال نحو الجمهورية الثالثة.

تأسس حكم البعث على شرعية «الخارج»، في ظل مناخ إقليمي ودولي كانت فيه القضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل والصراع بين الغرب وأمريكا من جهة وبين الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى هي القضايا التي تمحورت حولها مسألة الشرعية، وقد تمكن البعث من فهم المعادلات الإقليمية واللعب عليها للبقاء في الحكم، بل وتمكن من إنجاح عملية التوريث بين الأسد الأب والأسد الابن.

لكن شرعية الخارج أخذت بالتآكل مع ثورات الربيع العربي التي أعادت الشرعية إلى «الداخل»، حيث لا شرعية خارج فكرة الحرية السياسية، والتعددية، وحق الإنسان في التعبير.

الثورة السورية واجهت وما زالت مشكلات تفوق تطلعاتها، وأزمات لا تمت بصلة إليها، لكنها مجبرة على التعاطي معها، وهكذا أصبحت السمكة السورية وسط الحيتان المتصارعة، ليس فقط على المنطقة، وإنما على مصالح تقع خارج الشرق الأوسط.

راحت الثورات العربية في سياق ما أفرزته من تحولات تشير إلى أننا أمام معطيات جديدة على المستويين الإقليمي والدولي، وأن مآل هذه الثورات، وتحديداً الثورة السورية، من شأنه أن يعيد رسم الكثير من الخرائط السياسية، خاصة مع تعويل كل من أمريكا وروسيا على أن تكون الثورة السورية هي معبر التفاهمات الجديدة بينهما.

لن نحلل هنا دور الإرادة الروسية في أن تستغل مخاوف أمريكا بعد خروجها من العراق، فهذه الإرادة واضحة ومكشوفة، لكن من واجبنا القول إن دور هذه الإرادة تمّ استثمارها بشكل أكبر مما هي عليه في ظل غياب إرادات قوية بما يكفي من قبل اللاعبين الآخرين، وخاصة تركيا ودول الخليج.

في مقابل التردد الأمريكي كانت الإرادة الروسية فعالة بدرجة كبيرة، ومثابرة، كما أنه في ظل التخبط التركي كانت إيران وما زالت متمسكة بفرض نفوذها واستعراض قوتها والكشف عن أنيابها، وفي وسط كل ذلك لم يكن الجهد الخليجي قادراً على إعطاء نتائج فعالة في دعم الثورة السورية، خاصة أنه لم يرَ في قوى الثورة سوى من اعتقد أنه الأقدر على الفوز، أي أنه انتخب الفائز قبل المباراة.

اليوم، لم يعد الحيتان ينظرون إلى السمكة السورية بوصفها الغنيمة، وهي من دون وهم لم تكن كذلك بالنسبة لكثيرين، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، لكن معضلة السمكة أنها لم تعد ترَ طريقها وسط ضربات الحيتان، ووسط صراعاتهم.

أما بالنسبة للسوريين فلم يعد اهتمامهم منصباً على القضايا الأولى التي طرحتها الثورة، وإن كانت مفردات الحرية والديمقراطية والتعددية موجودة في بيانات المعارضة، لكن الاهتمام الرئيس هو وقف العنف، ووقف الدمار، وتلبية الاحتياجات الإنسانية والإغاثية، والتعامل مع القضايا الجديدة الناشئة في كل مدينة أو منطقة.

شرعية الخارج أخذت بالتآكل مع ثورات الربيع العربي التي أعادت الشرعية إلى «الداخل»

ووسط استمرار حالة العطالة في الموقف الدولي المتعلق بدعم ثورة السوريين تأججت أشكال جديدة من الصراع، وها نحن اليوم نقف أمام حالة غير مسبوقة من تنامي الصراع السني الشيعي من بوابة الثورة السورية، حيث يقاد الصراع السياسي بأدوات طائفية، خاصة بعد اعتراف حزب الله المباشر بقتاله إلى جانب النظام في القصير وغيرها من المدن والمناطق في سوريا.

لكن الصراع السني الشيعي لن يقف عند حدود سوريا، فهو بتعريفه صراع عابر للأوطان، و"ربما" آكلٌ لها، فهو من شأنه أن يجعل حدة الصراع بين دول الخليج وإيران أكثر حدة، مع رغبة الطرفين على عدم خروجه من الساحة السورية، لكن مستوى الضبط لن يكون قيد التحكم بحسب رغبة الأطراف.

السوريون، ليس لهم أية مصلحة في استنزاف ثورتهم في صراعات تتجاوز أهداف الثورة، لكنهم اليوم قد أصبحوا، بحكم الأمر الواقع، ضمن هذا الصراع، الذي لن ينتهي في ليلة وضحاها، بل هو مرشح لأن يكون العنوان الأبرز للصراع في المنطقة خلال السنوات المقبلة.

لقد فكك السوريون شرعية القديم المبنية على "الخارج"، لكن "الخارج" عاد إليهم بعناوين أخرى

الكل، يريد رسم خارطة النفوذ والمصالح ودرء المخاطر عنه انطلاقاً من نتائج الحدث السوري، بغض النظر عما يريده السوريون، لكن تورط السوريين كأدوات في صراع الحيتان قد أصبح واقعاً.

سوريا لم تعد بعد كل الذي حدث تثير مخاوف إسرائيل، لكن إسرائيل بعد كل الذي حدث في سوريا لن تقبل إلا أن تكون طرفاً فاعلاً في صياغة مآلات الحدث السوري، فما يجري إنما يجري على حدودها، وهي ستبقى دائماً قادرة على التدخل لخدمة أهداف استراتيجية، بل وقد تعبر من خلال الحدث السوري إلى نتائج مهمة في وأد القضية الفلسطينية بأرخص الأثمان.

لقد فكك السوريون شرعية القديم المبنية على "الخارج"، لكن "الخارج" عاد إليهم بعناوين أخرى، حيث ما من طرف من الأطراف السورية إلا وأصبح مرتبطاً بهذه الدولة أو تلك، وأصبح خاضعاً بهذه الدرجة أو تلك لنفوذها وشروطها.

هل سيكون بمقدور السوريين أن يفوزوا بسمكتهم؟ وأن يخلصوا أهداف ثورتهم رغم صراع الحيتان المتلاطم في بحرهم وفي أرضهم؟ وهل ثمة ما يشير إلى ذلك؟.

ذرائع حزب اللّه الواهية

محمد فاروق الإمام

عندما لم يعد بإمكان حسن نصر الله حجب شمس الحقيقة بغرباله المهترئ، وأصبح الادعاء بأن عناصر حزبه لا يشاركون في القتال إلى جانب طاغية دمشق مفضوحاً، وقد حملت عشرات النعوش أجساد مقاتليه الذين كانوا يسقطون يومياً إلى قراهم في جنوب لبنان والبقاع والضاحية الجنوبية فخرج علينا في خطابه الذي ألقاه يوم ٢٠١٣/٢/٢٧، ليغطي ما انكشف من أفعاله، فادعى أن الدولة اللبنانية قصرت في الدفاع عن حماية اللبنانيين الموجودين في بعض القرى القريبة من الحدود اللبنانية، فأخذ المهمة عنها لأن من حق هؤلاء – كما قال – «أن يدافعوا عن أنفسهم وعن ممتلكاتهم وعن وجودهم، وهذا عليه إجماع العقلاء، ومن قُتل في هذا السبيل فهو شهيد»، وقام بذلك متطوعاً من وراء ظهر الدولة والحكومة التي هو عنصر أساسي وفعال فيها.

بعد نحو شهر؛ ومع تواتر الحديث عن وجود مقاتلين من ميليشيا حزب الله في سورية يقاتلون إلى جانب النظام الباغي ويشاركونه عمليات القتل البشعة التي يرتكبها بحق المدنيين الآمنين، خرج علينا يوم ٢٠١٣/٤/٣٠ بذريعة جديدة مدعياً أن في منطقة السيدة زينب بدمشق مقام للسيدة زينب بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم يخشى عليه من الاعتداء من قبل عناصر تكفيرية مسلحة، وكان لابد من وجود عناصر من حزبه لحماية هذا المقام الطاهر والذود عنه لمنع الفتنة التي قد تقع بين السنة والشيعة.

وبعد أن تبين أن عناصر حزبه يشاركون بقوة وكثافة في معركة القصير التي لا تضم أي مقام من مقامات آل البيت ولا يوجد فيها لبناني واحد، وأن شيعته وأنصاره في جنوب لبنان والضاحية الجنوبية والبقاع والهرمل يستقبلون جثامين أبنائهم القتلى بأعداد كبيرة يومياً.. أطل علينا يوم ٢٠١٣/٥/٢٥ بذريعة جديدة لم يقتنع بها لا عقلاء لبنان ولا مجانينهم، ادعى فيها أنه وبحسب رؤيته «أن سيطرة هذه الجماعات (التكفيرية) على سورية أو على المحافظات المحاذية للبنان هي خطر كبير على لبنان وعلى كل اللبنانيين».

هذه الحجج الواهية جعلت بعض علماء الشيعة يعلنون رفضهم لهذه الحجج التي يسوقها نصر الله،

ملحمة القصير أسقطت «أسطورة» مقاتل «حزب اللّه» الذي لا يهزم

وكان في مقدمتهم العلامة الشيخ علي الأمين الذي يعتبر من كبار علماء الشيعة وأحد أهم مراجعهم في لبنان والعالم، والذي استنكر صراحة تدخل حسن نصر الله في سورية وقتاله إلى جانب النظام الذي يفتك بشعبه منذ أكثر من سنتين قائلاً: أن سورية ليست مكاناً للجهاد وأن تحرير فلسطين لا يكون عبر القصير، وأن زينب لا حاجة لمن يدافع عنها لأن لها رباً يحميها.

حتى الرئيس اللبناني ميشال سليمان المعروف عنه قلة الكلام خرج عن صمته وأعلن أن تدخل حسن نصر الله في سورية يضرب السلم الأهلي ويجر لبنان إلى الفتنة والاقتتال.

وفي كل الأحوال فإن ملحمة القصير أسقطت «أسطورة» مقاتل «حزب الله» الذي لا يهزم كما أسقطت القوات المصرية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يهزم.

وبعد كل هذه الإخفاقات والخسائر والسقوط

عقلاء حزب اللّه كسروا جدار الصمت والخوف رافضين تحويل أبنائهم من مقاتلين إلى قتلة

الأخلاقي الذي كلل جبين مقاتلي هذا الحزب الذين ارتكبوا أو شاركوا في ارتكاب مجازر بحق أهالي القصير، كان آخرها مجزرة ارتكبت على أطراف الخالدية «بين ربلة والخالدية» راح ضحيتها أكثر من عشرين مدنياً بينهم أطفال ونساء وشيوخ، وهي ثالث مجزرة من نوعها منذ عشرة أيام يرتكبها الحزب بحق مدنيين يتهمهم بإيواء أو مساعدة ثوار في ريف القصير.

وفيما لا تزال المعارك الضارية مستمرة في القصير، ويسطر فيها أبطال الجيش الحر والثوار أروع الملاحم والبطولة في مواجهة جيش حزب الله العرمرم وبغاة النظام في معركة غير متكافئة، لا من حيث العدد ولا العدة ولا التسليح ولا كثافة النيران، إضافة إلى ما تقوم به غربان الطيران الأسدي التي تصب حممها على المدينة التي تلحق الموت والدمار بالسكان المدنيين، إضافة إلى قذائف المدفعية الثقيلة وراجمات الصواريخ التي تصب على المدينة من خارج الحدود.

أمام هذا التدخل السافر لحزب الله في الشأن السوري ولصالح القاتل ضد الضحية كان لابد من حدوث شرخ داخل هذا الحزب الذي أسفر قادته عن طائفيتهم وهم يرفعون الشعارات الطائفية (يا لثارات الحسين) و(زينب لن تسبى مرة ثانية)، أقول كان لابد من حدوث شرخ في هذا الحزب وارتفاع أصوات العقلاء فيه تطالب بإعمال العقل والتوقف عن هذا الجرم المشين الذي يدفعهم إليه «سيد المقاومة» الأخرق ، وكان لابد من أن يكسر عقلاء هذا الحزب جدار الصمت والخوف رافضين تحويل أبنائهم من مقاتلين إلى قتلة، ومن محررين إلى مستعمرين، رافضين زج أبنائهم في معركة استنزاف قد لا تنتهي قبل أن تزهق أرواح الآلاف منهم، وهذا ما ينتظرهم إن لم يتوقفوا وفوراً عما انخرطوا فيه.

أخيراً لابد من أن يتساءل السوريون أين دولة لبنان مما يقوم به حزب الله من اعتداء سافر على أبنائهم وقراهم وبلداتهم وأراضيهم، وقد سمعنا بالأمس صراخهم وعويلهم وتنديدهم عند سقوط صاروخين من لعب الأطفال على الضاحية الجنوبية، ولم نسمع لهم صوت والعالم كله يشاهد جيشاً من آلاف قتلة حزب الله تنتشر في مجمل الأراضي السورية من شمالها حتى جنوبها تذبح بحرابها المسمومة الأطفال والشيوخ والنساء؟!

حروب السمن الفاسد وفاتورة الخضروات والكلب الضال

حسين جمو

لا يبدو سبب اندلاع الاحتجاجات ضد حكومة رجب طيب أردوغان في اسطنبول بسيطة، لكنه مدهش حقا إذا ما عرفنا أن السبب المباشر هو قيام السلطات بقطع أشجار في حديقة باسطنبول لبناء مركز يعنى بالتراث، فخرج نحو عشرة شبان للاحتجاج، وتبعهم آخرون، وأصبحت تتضخم وأخذت صفة شعبية شملت معظم أحياء اسطنبول.

السبب هو قطع الأشجار، لكن أولى المطالب التي طرحت نادت برحيل أردوغان على طريقة ثورات الربيع العربي. وفي معظم الثورات يكون السبب المباشر أقل بكثير من الأسباب الكامنة، والأمر ينطبق على الانقلابات العسكرية أيضاً.

كثيراً ما قرأنا أن انقلاب حسني الزعيم في ليلة ٣٠ آذار ١٩٤٩ كانت من تداعيات هزيمة العرب في حرب فلسطين، وتطول القائمة أيضاً حتى تشمل الصراع القائم آنذاك بين المحورين المصري السعودي من جهة والمحور الهاشمي من جهة اخرى. لكن السبب المباشر للانقلاب هو أقل بكثير من ذلك من حيث الأهمية، وبحسب شهادات العديد من المعاصرين التي أوردها الكاتب جاك جوزيف أوسي، فإن السبب الذي يعتبره الكثير من المؤرخين الأهم، هو قضية السمن الفاسد الذي كان يوزع على قطاعات الجيش، وقد ثارت هذه الأزمة أثناء عملية تفتيش روتينية قام بها الرئيس شكري القوتلي يصحبه فيها رئيس وزرائه خالد العظم،حيث اشتموا رائحة السمن الكريهة، وبعد الفحص والتدقيق تبين أن السمن محضرة من بقايا عظام نخاع الحيوانات وهي غير صالحة للاستهلاك البشري. وعلى إثرها تم توقيف الزعيم أنطون البستاني. وخوفاً من فضح شركائه في الجريمة (حسب الرواية التي تتهم بعض الضباط بالفساد) حجز في مبنى وزارة الدفاع. وقد دافع حسني الزعيم عن صديقه قائلاً إنه من المحتمل أن يكون المتعهد ببيع السمن للجيش قد غش في النوعية، خاصة أن الجيش السوري لم يكن يملك مختبرات لتحليل ما يقدم إليه من مواد.

اتهام أحد الضباط بالسرقة والفساد شكل إهانة لكتلة كبيرة من ضباط الجيش الذين لم يكونوا موالين للقوتلي، واعتبروه تدخلاً آخر من قبل الساسة الفاسدين في شؤون القوات المسلحة، وما فاقم من خطورة الموقف، أن الأولاد في الشارع صاروا يمسكون أنوفهم حين يرون ضابطاً في الشارع (في إشارة لرائحة السمن الفاسد)، وكبرت القضية حتى صارت اختبار قوة بين الجيش والساسة، حسمها الجيش لصالحه في نهاية الأمر بانقلاب حسني الزعيم.

في الثورة الفرنسية، التي غيّرت مسار التاريخ البشري، اندلعت الشرارة إثر إقالة الملك لويس السادس عشر في ١١ تموز ١٧٨٩ وزير المالية «نيكر». أدت هذه الخطوة إلى انتشار الشائعات عن مؤامرة أرستقراطية هدفها تجويع الشعب، حيث أن سعر الخبز ارتفع في ١٤ تموز إلى درجة لم تعرفها فرنسا من قبل، وعمت الفوضى مدينة باريس، فنهبت مخازن السلاح الخاصة من قبل العامّة الذين سيطروا على دار البلدية واتخذوها مركزا لحركتهم، وشكلوا الحرس الأهلي تحت قيادة الجنرال لافاييت، ثم هاجموا رمز الظلم «سجن الباستيل» في ١٤ تموز ١٧٨٩.

أما الثورة البلشفية في روسيا، فأسبابها جدّية «زيادة عن اللزوم». هناك أسباب مباشرة للحروب الخارجية أيضاً، وأشدها تفاهة هي تلك التي يكون دافعها النرجسية، ففي عام ٣٦٠ م، قاد الامبراطور الفارسي شابور الثاني جيشا قوامه ١٠٠ ألف مقاتل باتجاه تخوم الأراضي الرومانية، وبينما قرر تجاوز قلعة آمد (ديار بكر) من دون قتال، أصاب سهم طائش خوذته بالقرب من المدينة فاستدار هائجاً وهاجم أسوار المدينة، وفرض حصاراً محكماً لمدة ٧٣ يوماً قبل اقتحامها وذبح المدنيين والعسكريين في جيش الرومان.

وفي عام ٥٠٢ م، تعرضت ديار بكر لأشهر وأقسى حصار في تاريخها من الملك الفارسي قباذ، وعندما يئس من اقتحام أسوار القلعة فكر بالتراجع وخاصة مع اقتراب فصل الشتاء، إلا أن ظهور نساء رومانيات عاريات على الأسوار وتعييرهن جيش الفرس بـ«العجز» جعلت قباذ يتراجع عن قرار فك الحصار، وقال مؤرخ تلك الوقائع زكريا الميتيليني تعليقاً على الكلمات البذيئة للنساء: «لو كان الأسقف حياً لما سمح بهذه الأقوال». بعد مضي ثلاث شهور من المعارك التي انهكت الطرفين مع تفوق الفرس من ناحية المؤونة والامدادات، طلب قباذ أن يدفع الرومان مبلغاً رمزياً قدره «نصف دينار» فقط لفك الحصار والحفاظ على «كرامة جيشه»، لكن هؤلاء أرسلوا له قائمة بأسعار الخضروات التي استهلكها الجيش الفارسي من مزارع المدينة وحقولها. كانت النتيجة سيطرة الجنون العسكري على الملك الفارسي، وسقطت المدينة بعد ثلاثة أيام من «فاتورة الخضروات»، وبلغت عدد الجثث التي أخرجت من المدينة بعد حملة نهب لمدة ثلاثة أيام نحو ٨٠ ألف جثة. وكلما تذكر قباذ فاتورة الخضروات أقدم على عمل أكثر شناعة من سابقه، ومن بينها إصداره أمراً بقتل شخص من بين كل عشرة أشخاص في المدينة، من مختلف الأعمار.

وبعيداً عن الأسباب النرجسية، هناك أسباب مباشرة مضحكة، ففي ٢٢ أكتوبر ١٩٢٥ كان أحد الجنود اليونانيين يلهو مع كلبه حينما دخل الكلب الحدود البلغارية، وعلى الفور قام أحد الحراس البلغار بقتل الكلب بالرصاص، وهو ما استفز ليس فقط الجندي صاحب الكلب ولكن الدولة اليونانية ككل، وقرّرت على الفور الانتقام للكلب، وقامت بغزو منطقة بيتريخ، واستمرّت حرب الكلب الضال لمدة ١٠ أيام وخلفت ٥٢ قتيلا من الطرفين.

وفي عام ١٩٦٩ اندلعت حرب خلفت اكثر من ثلاثة آلاف قتيل شنتها السلفادور على الهندوراس، وكان السبب المباشر خسارة السلفادور في تصفيات كأس العالم لمونديال ١٩٧٠ أمام الهندوراس.

يبدو السبب المباشر للثورة السورية يتفوق على أسباب الثورات والحروب المذكورة مجتمعة، بل إنها كافية لإشعال عشرة ثورات بدلاً من واحدة، لأنها أكثر الثورات نبلاً وشجاعة في سببها المباشر.